

## السنة الأولى ليسانس (أدب عربي)

### مادة: النص الأدبي القديم

### السداسي الثاني (نثر)

### المحاضرة الخامسة

### المجموعة "أ" + المجموعة "ب"

### الأستاذ عبد القادر شريف حسني بالتنسيق مع الأستاذ إبراهيم بوشريحة

5/ السرد:

تمهيد:

يتيح تنوع نصوص التراث السردى وتعدد إمكانات شتى لمساءلة هذا التراث واستكناه ملامحه وقوانينه انطلاقاً من الأنواع السردية التي برزت في إطار التفاعل السائد بين كل مكونات الثقافة العربية الإسلامية. وتمثل هذه الأنواع السردية نصاً منفتحاً على حقول معرفية عدة إذ تشمل قصص الحيوان، والقصة العجائبية، والمقامات، والسير الشعبية، وأيام العرب، والقصص الإسلامي القرآني والمسجدي، وقصص الأنبياء، وكرامات الصوفية، وغيرها. ولعل هذا التنوع يجعلنا بحاجة إلى التعرف على تشكيلات هذه الأنواع السردية، أو بعضها في الأدب العربي القديم<sup>1</sup>.

وقد اقتصر هذا الدرس على ذكر بعض الأنواع السردية في الأدب العربي القديم، مع التركيز عليها في دروس منفردة؛ وهي الحكاية، المقامة، أدب الرحلة، وغير ذلك. وسنركز في محاضرتنا هذه على جملة من الأسئلة التي ينبغي الإجابة عليها، ومنها: ما مفهوم السرد؟ وكيف تشكلت الأنواع السردية الكبرى؟ وما علاقتها بثقافتنا الإسلامية؟ وما هي الوظائف السردية؟ وما دور القص في حياتنا الاجتماعية؟ وكيف كان تلقي الموروث السردى العربي القديم؟

وانطلاقاً من هذه التساؤلات بات علينا أن نشير إلى الأنواع السردية الكبرى قبل الانطلاق في تحديد ما هو مبرمج في محاضرتنا، وتتمثل هذه الأنواع السردية، في: (القصة العجائبية، المقامات، السير الشعبية)، أين لا يتم التركيز إلا على بعض الأنواع، وهي الواردة في البرنامج المسطر من قبل الوزارة الوصية.

<sup>1</sup> - ينظر ضياء عبد الله خميس الكعبي، تحولات السرد العربي القديم، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، 2004، ص: أ.

## السرد العربي القديم:

تعددت المقترحات التي يقدمها النقاد العرب المحدثون لمصطلح "Narratology" فقد ترجمها بعضهم بعلم (السرد)، و(السرديات)، و(السردية)، و(نظرية القصة)، و(القصصية)، و(المسردية)، و(القصيات)، و(السردولوجية)، و(الناراتولوجيا)<sup>(2)</sup>، وفيما يتصل بالمرورث السردى فإننا نجد بعض التسميات المقترحة مثل (السردية العربية) و(المرورث الحكائي العربي)، و(التراث القصصي)، و(الأدب القصصي)، و(السرد العربي القديم)، وقد تم اختيار التسمية الأخيرة للدلالة على القصص العربي القديم.

## السرد.. مفاهيماته ووظائفه

بدأ المفهوم الشامل للسرد انطلاقاً من المناهج الحديثة، وخاصة بعد دراسة هذه المناهج للسرد الخرافية والشعبية، المروية منها والمكتوبة، وقد ذهب البعض إلى جعل مصطلح السرد عبارة عن خطاب غير منجز أو أنه قص أدبي يقوم به السارد، حيث ارتبط هذا المصطلح بالسردية التي تعني الطريقة التي تحكى بها الحكاية، والسرد >>في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به منسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً>><sup>(3)</sup> وأن هذا المصطلح (السردية) هو الذي جعل الحكاية أدباً سردياً، فعلم السرد قديم النشأة أي منذ عام 1918 على يد "إيخنهاوم"، ولم يظهر هذا المصطلح إلا سنة 1969 على يد "تودوروف"<sup>(4)</sup>. كما يرى "شولز" و"كيلوج" بأن السرد "هو تلك الأعمال الأدبية التي تتميز بخاصيتين، وجود قصة أو حكاية، وتوفر شخص يقص لنا، أو نخبرنا بهذه القصة أو يرويها لنا"<sup>(5)</sup>.

**الفرق بين السرديات والسرد:** وهنا ينبغي علينا أن نفرق بين السرديات (علم السرد)، والسرد، ولذلك "يجب أن نميز بدقة بين مفهوم السردية (علم السرد): وهي الطريقة الدقيقة والمنهجية التي تأخذ اتجاهها

<sup>2</sup> - ينظر فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، صص 178، 180.

<sup>3</sup> - ابن منظور "لسان العرب" إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج 2.

<sup>4</sup> - ينظر ناهضة ستار "بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات، والوظائف، والتقنيات" دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 62 وما تابعها.

<sup>5</sup> - فاضل الأسود، السرد السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1996، ص: 79.

وصفيا في دراسة النصوص. وبين السرد: تلك الممارسة القديمة التي يعبر الإنسان عن نفسه وعن أفكاره في المجتمع، وهي قديمة وموجودة في كل الثقافات بما فيها الثقافة العربية، لكن علم السرد هو علم خالص وفد من الغرب"<sup>6</sup>.

أما بالنسبة للسرديات فهي، "علم يتناول قوانين وحدود وأصول الأدب القصصي، وحتى وإن كان "تودوروف" هو من صاغه عام 1969 ليستدل على علم السرد الذي لم يكن متواجدا بعد، فإن وجوده كان فعليا منذ عقود طويلة وإن اختلفت مصطلحاته واتسعت مداركه، فهو متجذر في حياتنا الأدبية، غائر في أساطيرنا وتمثيلاتنا ومحامكاتنا. والسرديات تهتم بشكل عام بالبحث في مكونات بنية الخطاب السردية، ولا تغفل في عملها أحدا من الأقطاب الفاعلين في الخطاب، كما تشتغل على المبنى والمعنى والأسلوب، فهي تهتم، إذن، بكل مكونات المنجز السردية وعناصره وكذا متلقيه."<sup>7</sup>

وهو" ما يثبت ارتباط السرديات بتحليل الخطاب وانخراطها ضمنه إسهاما في صياغة مقترح نظري وإجرائي يبحث في مكونات السرد وأنساقه ولذلك كانت الفرضية التي نهضت على أساسها السرديات المتمثلة في اعتبارها نظرية للحكي وعلم السرد."<sup>8</sup>

هذا بالإضافة إلى أن علم السرد لا يتوقف عند "النصوص الأدبية التي تقوم على عنصر القص بمفهومه التقليدي، وإنما يتعدى ذلك إلى أنواع أخرى تتضمن السرد بأشكال مختلفة مثل الأعمال الفنية من لوحات وأفلام سينمائية وإيماءات وصور متحركة، كذلك الإعلانات أو الدعايات وغير ذلك وفي كل هذه ثمة قصص تحكى وإن لم يكن بالطريقة المعتادة"<sup>9</sup>.

كما يعتبر السرد هو الجزء الأساسي في الخطاب، الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل، وهنا ينبغي أن نشير إلى المكونات التي تشكل البنية السردية للخطاب، وهي:

1- الراوي.

2- المروي.

3- المروي له.

<sup>6</sup> - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص: 75.

<sup>7</sup> - حنان حطاب، في فهم الخطاب السردية، مقارنة تأويلية في روايات واسيني الاعرج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سطيف (2)، 2016، 2017، ص: 29.

<sup>8</sup> - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989، ص: 89.

<sup>9</sup> - ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص: 104.

ويعرف الراوي بأنه ذلك الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة ولا يشترط أن يكون الراوي اسماً متعيناً، يكتفي أن يتقنع بصوت، أو يستعين بضمير ما، يصوغ بواسطته المروي، وتتجه عناية السردية إلى هذا المكون بوصفه منتجاً للمروي بما فيه من أحداث ووقائع وتعني برؤية اتجاه العالم المتخيل الذي يكون السرد وموقفه منه<sup>(10)</sup>.

ونجد السرد يهم الباحثين أيضاً باعتباره حكاية لا تقتصر وظيفتها على مجرد، تعداد الوظائف والأفعال. ويختلف الكثير من الباحثين مع "بارت" في قوله: <>إنّ هذا السرد كان يتم تصويره فقط من منظور البرهان، فهو العرض المقنع لشيء حدث أو يُزعم أنه قد حدث، فالقصة عنده ليست حكاية، وإنما هي خطوة برهانية>><sup>(11)</sup>. كما ذهب أغلب الباحثين الكلاسيكيين إلى القول بأن السرد أهم ما قدر "بارت" إذ إن تفصيل أنواعه ومقولاته وملاحه وخصائصه يجعله يتعلق بعناصر اختيارية ومتوقفة على نوعية القاص. كما ذهب "جيرار جنيت" في كتابه (الخطاب السردية) 1972 إلى التمييز في السرد بين **الحكي** والذي يقصد به ترتيب الأحداث فعلياً في النص، و**القصة** ومعنى ذلك التتالي الذي وقعت فيه الأحداث فعلياً، و**التسريد** الذي يهتم بفعل السرد، كما قد ذهب الشكلاونيون الروس إلى تمييز (الحبكة والقصة)، لأن الحبكة تعمل على قلب أحداث القصة، أو التسلسل الزمني لها، حيث ميز "جنيت" خمس مقولات هامة في تحليل السرد وهي:

- 1- **الترتيب**: ويقصد بذلك الترتيب الزمني للسرد وكيف يمكن له أن يعمل من خلال الاستباق والاسترجاع، فمرة في الماضي ومرة في الحاضر ليعود من جديد إلى الماضي وهكذا.
- 2- **الاستمرار**: أو الاستغراق الزمني، ويقوم على الاستطراد، ويعمل وفق الإطالة والإيجاز والتوقف في بعض الحالات، أي أنه يذكر الحادثة كاملة وفي بعض الحالات يشير إليها فقط.
- 3- **التواتر**: وهو التساؤل عما حصل إذا كان حدث مرة وسرد مرة، أو حدث مرة وسرد مرات عديدة أي أنه التساؤل عن المرات التي حصلت فيها الأحداث.
- 4- **الصيغة**: وتنقسم إلى قسمين:
- **البعد**: ويهتم بعلاقة التسريد أي هل هي علاقة تلاوة للقصة أم تمثيل لها ؟ وهل السرد محكي بالكلام المباشر أم منقول؟

10 - عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص: 213.

11 - صلاح فضل " بلاغة الخطاب وعلم النص " مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط 1، 1996

- المنظور: ويدعى (زاوية النظر) ويتمثل في قدرة السارد على المعرفة وتفاوته مع الشخصيات في هذه المعرفة.

#### 5- الصوت: ويهتم بنوع السارد والمسرد وما ينطوي عليهما من سرد. <sup>(12)</sup>

ومنه فغاية السرد لا تتعلق بمجرد عرض الموضوع، وإنما بالإقناع العاطفي، لأن السرد لا ينظر فحسب إلى إخبار القاضي، وإنما إلى أكثر من ذلك، وهو أن يشعر بما نريد أن يشعر به، حتى ولو لم يكن من الضرورة أن نخبره إلا بهدف تحريك تعاطفه الشديد، فنحكي له الأشياء كي نُعد لذلك» <sup>(13)</sup>. كما ذهب البعض إلى إدخال مبدأ (الاحتمال) في النظام السردى، حيث كان هذا بمثابة المنطلق في البلاغة القديمة ويدخل هذا في الاحتمال التاريخي للوقائع المسرودة، وقد ذهب "شيشرون" الروماني في توضيحه لمبدأ (الاحتمال)، قائلاً: «تصير القصة محتملة إذا ظهرت فيها أشياء مما يبدو في الوقائع والظروف التي حدثت فيها، زمانها ومكانها وكيفيتها، بحيث يلتزم الشيء المروي بطبيعة ما يفترض من المؤلفين، أو ما يشاع عند العامة، أو ما ينطبق مع رأي المستمعين» <sup>(14)</sup>.

ويذهب "كينيتليانو": إلى تعميق مفهوم الاحتمال السردى فيقول: «تصير القصة محتملة إذا استشرنا أنفسنا أولاً كي لا نقول شيئاً يتعارض مع الطبيعة، وإذا ألحنا مسبقاً إلى البواعث التي أدت إلى حدوث الأشياء المروية، لا بواعث كل الأشياء، وإنما تلك التي نعزم التحقق منها، وإذا رسمنا الشخصيات بتلك الخواص التي تجعل الوقائع قابلة للتصديق فنرسم هكذا اللص والبخيل وعدم الشرف والقاتل، ونعكس إذا قصدنا الدفاع عنهم» <sup>(15)</sup>، من خلال تحديد مستويات هذه الشخصيات، «أما ظروف الزمان والمكان فينبغي الإحاطة بهما أيضاً، كما أن هناك قدراً من التتابع والترابط بين الأحداث يجعلها قابلة للتصديق، كما يحدث في الكوميديات والتمثيلات الصامتة، إذ إن هناك بعض الأشياء التي تنجم عن بعضها الآخر بالطبيعة، بحيث إننا إذا حكينا الأولى بما فيها من احتمالات توقع القاضي ما سيتبعها من نتائج» <sup>(16)</sup> ويدور مفهوم الاحتمال على مستويات أربع:

#### 1- الاحتمال الطبيعي: وهو العلاقة بين الأدب والواقع.

<sup>12</sup> - ينظر تيري إيفلتون "نظرية الأدب" ترجمة: نائل ديب، دراسات نقدية عالمية، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1995، ص: 183، 184.

<sup>13</sup> - صلاح فضل "بلاغة الخطاب وعلم النص" م، س، ص: 354.

<sup>14</sup> - المرجع نفسه، ص: 355

<sup>15</sup> - Pozuelo Yvancos Jose Maria Teoria del lenguaje literario Madrid 1988

<sup>16</sup> - Pozuelo Yvancos Jose Maria Teoria del lenguaje literario Madrid 1988

2- التلاؤم: وهو التلاؤم بين علاقة الأدب بالواقع من ناحية، والعلاقة بين الحدث ولغة الشخصيات من ناحية أخرى.

3- ظروف المكان والزمان.

4- الحبكة.

وبتضافر هذه العناصر يسمى هذا الاحتمال، باحتمال الإقناع.

هذا بالإضافة إلى أن السرد يقتضي جملة من القضايا التي تحافظ على التوازن وعدم تجزئته واقتطاعه وهي كالآتي:

1- سرد النص بأكمله مع مراعاة تجانسه وتماسكه.

2- الاهتمام باقتصاد الكلام، وتلاؤمه مع الشخصيات والمواقف.

3- مراعاة الصدق.<sup>(17)</sup>

وللسرد مستويين، أولهما:

1- **السرد الابتدائي:** ويتمثل هذا في العمل الأول للمؤلف أي عندما يكتب الكاتب نصه، يعتبر عمله هذا سردياً ابتدائياً، أو سردياً من الدرجة الأولى.

2- **السرد من الدرجة الثانية:** وهو عندما يروي القاص حكاية أخرى، أي عندما يكون هناك شخصيتان في النص فيروي أحدهما قصة عن شخصية ثالثة خارجة عن إطار النص فتعتبر هذه القصة بمثابة السرد من الدرجة الثانية.

ومن هنا بات على الدارس أن يبين وظائف السرد من الدرجة الثانية، لأن هذه الوظائف هي العلاقة بين هذين المستويين، وهي:

1- **وظيفة تفسيرية:** كأن تروي شخصية من شخصيات القصة لشخصية ثانية من شخصيات السرد الابتدائي تسلسل الأحداث التي قادت شخصية ثالثة إلى وضعها الراهن على مستوى السرد الابتدائي ويكون سرد هذه الأحداث سردياً من الدرجة الثانية كما يكون هذا السرد عبارة عن لاحقة تفسيرية لسرد ابتدائي.

---

<sup>17</sup> - نلاحظ أن هناك فرقاً في مفهوم الصدق، فالصدق في الواقع هو نقل الأحداث كما هي عليه في الواقع. أم الصدق في الأدب والفن فهو نقل الأحداث كما يراها الأديب لا كما هي في الواقع، وهذا ما يحيلنا إلى مقولة أرسطو "الطبيعة خرساء ما لم ينطقها الكاتب".

2-علاقة أغراض: وهي العلاقة التي تتضمن استمرارية مكانية أو زمانية، بين السرد الابتدائي والثانوي، وتقوم على المجانسة بينهما.<sup>(18)</sup>

وأن للسرد وظائف يمكن أن نجملها في:

- أ- وظيفة السرد نفسه: وهي كيفية سرد الراوي للحكاية.
  - ب- وظيفة تنسيق: وتعتمد على التنظيم الداخلي للخطاب، وبرمجة السارد عمله مسبقاً، كأن يقول السارد (سوف أقص عليكم الحادثة التي وقعت).
  - ت- وظيفة إبلاغ: وتتمثل في إبلاغ رسالة أخلاقية أو إنسانية أو غيرها للقارئ.
  - ث- وظيفة انتباهية: وهي وظيفة يقوم بها القاص، تتمثل في محاولة الكشف عن العلاقة بينه وبين المرسل إليه كأن تقول "يا جماعة" ويقصد هنا المتلقي.
  - ج- وظيفة استشهادية: وهي محاولة من السارد الكشف عن ذكرياته، كأن تقول: (أذكر أن الحالة قد وقعت سنة 1997) كما يحاول تثبيت المصدر الذي استمد منه المعلومات.
  - ح- وظيفة أيديولوجية أو تعليلية: وتتمثل في النشاط التفسيري للراوي، أي أن الراوي قد يخرج عن نطاق النص كأن يتكلم عن ماضي أحد شخصياته.
  - خ- وظيفة إفهامية أو تأثيرية: أي محاولة السارد إدماج القارئ في العمل الروائي وتعاطفه مع هذا العمل.
  - د- وظيفة انطباعية أو تعبيرية: وهي محاولة الراوي التعبير عن أفكاره ومشاعره.
- كما أن هناك وظائف سردية أخرى تتعلق بالشخصيات، ويتم اكتشافها حسب دور الشخصيات في العمل الروائي.<sup>(19)</sup>
- وأنّ هذه الوظائف التي تمّ التفصيل فيها لا تردّ في النص بهذا التجزيء وإنما تردّ في ثناياها متداخلة متشابكة، وإن الفصل فيما بينها هاهنا إنما لغرض دراسي.

<sup>18</sup> - ينظر سمير المرزوقي / جميل شاكر "مدخل إلى نظرية القصة" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الدار التونسية للنشر، دط، دت..، ص 104 105.

<sup>19</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص: 110 وما سبقها.